

نحت المجهر

عودة إلى نجم الموسم الرمضاني

في «الهيبة» تلك القرية الحدودية المتخيلة مع سوريا، تدور الأحداث في بيئة بقاعية، تحاكي الخارجين عن القانون وعوالمهم. مشاهد مليئة بالأكشن، والسلاح، والثأر، وحياة العشائر مطعمة بقصة حب. استطاعت أن تأسر المشاهدين طيلة شهر رمضان. ما الأسباب التي أسهمت في نجاح العمل بهذا الشكل غير المسبوق؟ ما الذي جذب الجمهور إليه؟ ما خطورة التماهي مع جماعات خارجة عن القانون، وبيئة قلقة دوماً على مصيرها، ومتهابة لدفع أي مكروه يصيب عشيرتها؟ سلسلة إشكاليات، اجتماعية، نفسية، وإعلامية، نحاول الإجابة عنها في هذا التحقيق.

زينب حاوي

بين عشرات الأعمال الرمضانية التي عرضت في الموسم الرمضاني، تصدر مسلسل «الهيبة» (كتابة هوزان عكو - إخراج سامر البرقاوي)، حلقات النقاش، والتداول الشعبي.

تواكب عرض المسلسل مع ماكينة إعلامية ضخمة، بدأت من الشاشة السعودية mbc، وقناة mtv اللبنانية، ولم تنته عند المنصات الاجتماعية والمواقع الإلكترونية، وفورتها المقصودة وغير المقصودة على مدار الحلقات. بطبيعة الحال، لا يمكن لهذه الضخامة الإعلامية والتشديد، أن تصنع كل هذا الضجيج، الذي ترافق مع إنتاج ضخم، وتخصيص ميزانية عالية، إلى جانب براعة عالية في اختيار الممثلين/ات، وتادية أدوارهم بإقناع شديد، لا سيما غير الأبطال منهم (من غير الصف الأول). قصة «الهيبة»، القرية الحدودية المتخيلة مع سوريا، تدور في فيلا «شيخ الجبل»، ضمن بيئة بقاعية، تحاكي الخارجين عن القانون، وتكرس أفكاراً تندرج ضمن «العادات والأصول» ثقافياً واجتماعياً، وتكبل كل من يعيش في هذه البيئة، هذه القصة محوراً الأكشن، ولعبة السلاح، والثأر، مطعمة بقصة حب، تتكرر في الحلقات الأخيرة. من هنا،

كانت الأحداث محط اهتمام شعبي، وانجذاب وافتتان لافتين، أكان في القصة أو في أداء الممثلين/ات، على رأسهم النجم السوري تيم حسن. الأخير يشارك للمرة الثالثة على التوالي في بطولة مشتركة مع زميلته نادين نجيم، تحت خيمة شركة Cedars Art Production المعروفة بـ «صباح إخوان». الممثل الكاريزماتي لا يحتاج إلى شهادة في حرفيته، وأدائه العالي، و«نحته» لهذا الدور، بكل تفصيل فيه وبهذه الشخصية الجذابة المافياوية، صعدت إلى جانبه أسماء لامعة، حتى إن بعضها تفوق على أبطال العمل أمثال: أوبس مخللاتي (صخر)، وعبيد شاهين (شاهين)، وسامر كحلاوي (الدب). أضف إلى ذلك الحضور الأسر للنجمة السورية منى واصف. كل هذه الخلطة، أسهمت في تخطي العمل حتى توقعات أصحابه، وصنعه حالة شعبية عارمة، أعادت إلى أذهاننا، أجواء السلسلة السورية الشهيرة «باب الحارة» في جزئها الأول. حالة ركبت موجهتها منابر إعلامية وإلكترونية، عبر استضافتها وجوه «الهيبة»، وأفادت من هذه الضجة، لتسجيل نسب مشاهدة عالية، فما سز «الهيبة»؟ وما هي الأسباب التي أسهمت في نجاحه، وسرقة الأضواء بهذا الشكل غير المسبوق؟



تصوير مناطق في البقاع لطالما تعاطى معها الإعلام بطريقة منمطة وسلبية

اجتماعياً، ما الذي جذب الجمهور إلى عمل مماثل؟ لماذا تألف وتماتل معه إلى هذا الحد؟ ما خطورة التماهي مع جماعات خارجة عن القانون، ومع بيئة قلقة دوماً على مصيرها، ومتهابة لدفع أي مكروه يصيب عشيرتها؟ على الصعيد الإعلامي، هل لوسائل الإعلام وتجييشها المتواصل للعمل، دور في هذا النجاح، أم أنه متكامل الأوصاف، لا يحتاج إلى ضجة تشكل «رافعة» له؟ ما سر هذه الخلطة التي طرحها الكاتب، ودفع بالمشاهد إلى التعاطف مع هؤلاء؟ هل للدراما تأثير مباشر على سلوكيات الجمهور في ظل وقوع جرائم فردية متفرقة تزامناً مع شهر الصوم، خصوصاً أن عددها اللاف، أخرج النقاش إلى العلن، وربط الترويج للسلاح في الفن، بأعمال القتل والجرائم، أم أن الأمر يحتاج إلى مدة أطول لتأكيد أو نفي هذا الرابط؟

سلسلة أسئلة وإشكاليات، اجتماعية - نفسية - إعلامية، أفرزها «الهيبة»، سنحاول الإجابة عنها عبر استعراض اختصاصيين في هذه الميادين، وتفنيد عوامل نجاحه، والأثر الذي تركه على المشاهد. في هذه «المطحنة» الرمضانية التي ينتظرها المنتجون، والشاشات معاً، للاستثمار في الأعمال الدرامية، ليس سهلاً أن ينجح عمل واحد بهذه

المواكبة الشعبية والإعلامية. استطاع «الهيبة» قطف هذا النجاح، وركبت موجته وسائل الإعلام. هذا الأمر لا يعد «استثناء» بحسب أستاذة الإعلام في «الجامعة اللبنانية» وفاء أبو شقرا، مضيئة أن التعاطي الإعلامي يركز عادة على الأعمال الدرامية الناجحة، لا سيما في طور بحثه عن مواد يتناولها في شهر الصوم. تنفي أبو شقرا هنا إسهام هذه المنابر في إنجاح المسلسل، بل وانحصر دورها في الإضاءة عليه، وعلى نجاحه وإثارته للجدل، إلا

أنها تنتقد الدور السطحي الذي قامت به هذه المنصات في الحلقات الأولى، من دون أن تنتظر أن تظهر الحكمة أكثر، عدا سلبية وسائل التواصل الاجتماعي التي كرس مفهوم «الصبحية» وال vulgarnisation، إذ نصب كل ناشط/ة نفسه على أنه ناقد، يحق له إطلاق الحكم بأن هذا العمل ناجح أو فاشل. وعن أسباب هذه الضجة الإعلامية الكبيرة التي رافقت «الهيبة»، تحليلنا أبو شقرا، إلى ماكينة الشبكة السعودية mbc، والإمبراطورية الإعلامية التي لم يكن «دورها بسيطاً» في تسويق العمل، بخاصة على مستوى العالم العربي.

أما في لبنان، فالحالة مختلفة، بسبب إضاءة المسلسل على مناطق معينة من البقاع، لطالما تعاطى معها الإعلام بطريقة منمطة وسلبية أكان في الأخبار أو التغطيات. أما جماهيرياً، فتفند أبو شقرا، أسباب انجذاب المشاهدين، إلى «الهيبة»، وهذه البيئة التي تضم خارجين عن القانون. تحليلنا إلى نظرية «اللص الشريف»، أو «المجرم الشريف»، الذي طبع في الأذهان منذ قرون، مع أسطورة «روبن هود» في التراث الشعبي الإنكليزي، الذي يسلب أموال الأغنياء لإطعام الفقراء. فغالباً، هذا ما دأب عليه كاتب السيناريو والقصة هوزان عكو،

تيم حسن وعبيد شاهين وسامر كحلاوي وحشاش مراد في مشهد من العمل



بطك سكسي وشهم... ومجرم بلا إجرام

نادين كنعان

بعد انتهاء السباق الرمضاني لعام 2017، لم يعد نجاح «الهيبة» قابلاً للنقاش. فالمسلسل اللبناني - السوري المشترك شكلاً «ظاهرة» وحقق شعبية واسعة، حتى باتت شخصياته الرئيسية وأحداثه وبعض عباراته (خصوصاً «ما



تصوير الشخصية السلبية بطريقة جذابة من دون أي تلميح إلى إجرامها

تهكلي اللهم») جزءاً من أحاديث الناس اليومية في الواقع وعلى مواقع التواصل الاجتماعي. لكن النتيجة التي حسمتها الأرقام في لبنان والدول العربية لا تنفي ضرورة أخذ مسافة نقدية من العمل. نسب المشاهدة العالية و«هوس» المشاهدين بالمشروع



الذي تشارك بطولته السوري تيم حسن واللبنانية نادين نسيم نجيم لا تعني أن «الهيبة» مشغول وجيد ومتكامل على مستوى النص والسيناريو والإخراج، فهو متقل بمشاكل جوهرية على هذه الأصعدة، أولها الاقتباس عن أعمال تلفزيونية وسينمائية من دون ذكر الموضوع. لم يعد خافياً على أحد أن هوزان عكو «استعان» بمسلسلين وفيلم على الأقل في سبيل رسم شخصيات وخطوط أساسية في «الهيبة». «جبل» (تيم حسن) يعمل تاجر سلاح ويتزعم مافيا تماماً كما «منصور» (محمود عبد العزيز) في مسلسل «جبل الحلال» (2014 - كتابة ناصر عبد الرحمن، إخراج عادل أديب)، فيما يتشارك الثنائي في الكاريزما ويتمسكان بمبادئهما، إلى جانب مساعدة أهل المنطقة التي يفرضان سيطرتهم عليها. وإذا أردنا إغفال معضلة الإنجاب والتشابه في التسميات، البطلان حريصان في تجارتهما على ألا يصل السلاح إلى

الإرهابيين مع الإصرار على الابتعاد عن الأسلحة الثقيلة. في «الهيبة»، يخوض البطل معارك في منطقته فيما يتكلم دائماً على أخيه الأصغر «صخر» (أوبس مخللاتي) الغارق في غرام ابنة عمه «ريما» التي لا تطيقه ولا يستطيع طلب يدها بسبب الخلافات بين العائلتين. في المسلسل المصري، يعتمد «منصور» على ابن أخيه «ماهر» (كريم عبد العزيز) الذي يهوى ابنة عمه (ياسمين صبري). أما شقيقة «جبل» المدعوة «منى» (روزينا لاذقاني) التي تعاني من زوجها الخائن الذي ضربها، فتقابلها في «جبل الحلال» شخصية «أمينة» (هبة مجدي) ابنة «منصور» التي تقودها خيانة زوجها (محمد علي رزق) إلى حدود الطلاق. الحلول مكان الأب المتوفى، والثأر، والصراع مع بيت العم، والضابط الشاب الذي يهدف إلى القبض على زعيم العصابة في ظل توجيهات من رجل أمن أكثر خبرة وأكبر سناً، كلها عوامل رئيسية مشتركة بين «الهيبة» وجزءاً أيضاً. في المسلسل التركي،

وفيلم «الجزيرة» (2007 - كتابة محمد دياب، وإخراج شريف عرفة». لم يكتب عكو بهذا الحد، بل لجأ إلى المسلسل التركي الشهير «عشق وجزء» (بطولة مراد بلدرديم، ونورغول شيلتشي) الذي عرضته محطات عدّة من بينها شبكة السعودية. في العمل الذي وقّعه المخرج قدرت سبانجي ومجموعة كتاب، نحن أمام عشائر تتنازع على التجارة التي يشكل السلاح ركناً أساسياً فيها. عادات العشيرة والحرص على إرثها واستمراريتها، يدفع الأخ إلى الزواج بزوجة شقيقه، تماماً كما يحدث في المسلسل اللبناني - السوري بين «جبل» و«عليا» (نادين نسيم نجيم) التي تعود من كندا مع ابنها الصغير إلى لبنان لدفع زوجها «عادل». أما «ناهد» الأم المتسلطة التي تربطها علاقة مميزة وقوية بابنها الزعيم وقد جسدتها الكبيرة منى واصف ببراعة، ف«مستوحاة» من «عشق وجزء» أيضاً. في المسلسل التركي، تؤدي هذا الدور الممثلة تومريس إنجير، فقرز المخرج سامر البرقاوي تبنيها بكل تفاصيلها من حركات الجسد إلى العضا إلى اللباس الأسود إلى كحل العيون الداكن. والبرقاوي كما بات معلوماً لا يخجل ب «حبّه» لاستنساخ مشاهد كاملة من أعمال أجنبية، كما حدث في السنوات الأخيرة في المسلسلات الرمضانية (لعبة الموت» (2013) و«تشيللو» (2015) و«نص يوم» العام الماضي. وهو ما برز جلياً طبعاً في إشارة البداية في «الهيبة» التي جاءت متطابقة في جوانب عدّة مع إشارة البداية في المسلسل الشهير «ناركوس» (إنتاج شبكة «نتفليكس» الأميركية) الذي يتناول حياة بارون المخدرات الكولومبي بابلو إسكوبار (1949 - 1993).

قد لا يرى كثيرون مشكلة في تحوّل الاقتباس أو الاستنساخ من دون ذكر مصادر إلى عادة في الدراما العربية. وإن كنا لا نؤيد هذا التوجّه، ففي «الهيبة» مشاكل أساسية